مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: الاهـــــرام
التاريخ : ١٩٧٥/١٠/٦

# منبـــع ٦ أكـــتوبر

## بقـلم : توفيق الحـكيم

لم أكن ادرى فى ذلك الوقت انى على مقربة من ذلك المنبع .. فمن المستحيل ان يخطر على البال شىء كهذا والجو من حولى ملبد بالغيوم . كنا فى تلك الفترة من يناير ١٩٧٣ فى مرحلة قد استولى علينا فيها القلق والاضطراب . ولم نعد نرى من أمر حاضرنا ومستقبلنا غير ضباب فى ضباب . وكان أن كتبت بيدى ذلك البيان الذى وقعه معى بعض الزملاء من المفكرين والصحفيين والادباء . وخشيت الدولة أن يؤدى ذلك الى زعزعة فى الجبهة الداخلية المحتاجة الى التماسك . وأراد السيد الرئيس أن يستفسر منى عن بعض الظروف الملابسة لذلك البيان . وكنت قد كتبته باسلوب عنيف والفاظ شديدة استوقفت بعض الموقعين انفسهم . فتوقعت أن يبدو شىء من التأثر على وجه الرئيس .. ولكنه استقبلنى بابتسامة صافية ، ولاحظ غياب عصاى فسأل عنها . ولما قلت انى تركتها خارج القاعة ، اذ لا يصح من باب اللياقة و « البروتوكول » الدخول بها على رئيس الجمهورية أمر فى الحال باحضارها لاحملها فى يدى كعادتى . وبعد ذلك جعل يصغى الى حديثى وانا اوضح مسئوليتنا وواجبنا باعتبارنا من رجال الفكر فى أن نصارح الدولة بحقيقة رأينا فى الموقف .. ولم أجد منه اعتراضا .

ولكن وجدت بعض الاسى على وجهه ، خشية ان يكون الشك فى انفسنا قد خامرنا ونال منا .. ثم ذكر انه ذهب بعد الهزيمة الى احد المستشفيات حيث زار جنديا جريحا عرف منه كيف لبث صامدا يقاتل فى ميدان قتال لا أمل فيه

هذا الصمود من ذلك الجندى الجريح هـز نفسه هزا وجعله يؤمن بقدرة الجندى المصرى على النصر .. قال الرئيس ذلك وانه آخذ قوله بالطبع على انه مجرد كلام مما يقال لتقوية العزائم . لم اكن قط اتصور ان وراء كلامه من التجسيد والعمل ما سوف تظهر نتائجه بعد شهور . فلما جاء يوم ٦ اكتوبر وصحت صيحتى « عبرنا الهزيمة » كان المقصود وراء هذه الصيحة معنى اكبر من مجرد عبور الهزيمة العسكرية . فالانتصارات او الهزائم فى محيطها العسكرى ليست هى التى تبقى طويلا فى كيان البشرية . بل لقد كان المعنى الاهم هو أننا « عبرنا الهزيمة فى انفسنا » .. ولذلك قلت فيها ايضا متمما « انه لا تهمنى بعد ذلك نتائج المعركة » فالمهم هو أن هزيمة النفس المصرية قد انتهت . بل أن هزيمة النفس العربية كلها قد زالت . ورأينا اصغر دولة عربية قد ردت فيها روح العزة بعد ذلة كل ذلك قد نبع من قلب رجل تفجر فيه الايمان الراسخ العميق بالجندى المصرى .. لولا هذا الايمان لكان من الجنون أن يصدر رئيس دولة قرارا بعبور كهذا العبور .. لقد كنا جميعا نتصور المعركة اذا وقعت لا يمكن أن تبدأ بعبور قناة السويس . فهذا امر غير صالح حتى لمجرد التفكير فيه . وربما كان الممكن تصوره هو أن يكون الاقتحام من أرض متاخمة مبسوطة بلا عقبات ولا عوائق ، أما أن نعبر قناة واسعة بدبابات وعتاد وجيوش لتجد أمامها بعد ذلك جبلا مسلحا قائما بأسواره العالية ، لابد لها من اختراقه وهى مجهدة مثقلة مبتلة بمياه تضطرب امواجها بالقنابل الهاطلة والصواريخ المنقضة ، فهذا عمل عسكرى يشبه الاعجاز او الانتحار .

وكان اعجازا . كما شهد الاجانب من الخبراء .. كيف حدث هذا !!

سألت نفسى هذا السؤال . وتذكرت ذلك اليوم من يناير فجاءنى الجواب على الفور : انه الايمان بالجندى المصرى .. ذلك الايمان الذى تفجر واضاء فى قلب الزعيم هو المنبع الحقيقى ليوم ٦ اكتوبر العظيم .